حكايات بطولية للأطفال (٢٣)

الحصار

و

آيات الأخرس

بقلم

روضه الفرخ الهدهد

الكاتبة الحائزة على جائزة الدولة التقديرية في أدب الطفل

رسوم الفنان

سعيد العراقي

دقق النص الأستاذ الشاعر عبد العزيز أبو غوش من مدرسة المنهل

الإهداء

إلى المرأة الفلسطينية في صمودها الاسطوري على أرض فلسطين، وفي نضالها المستمر ضد الهجمة الصهيونية الشرسة على أمتنا العربية..

وإلى السيدات الفاضلات من الفعاليات النسائية في الاردن وهن يجتمعن في كل المناسبات القومية ليعلين صوت المرأة في القضايا المصيرية للأمة..

وإلى المرأة العربية في كل مكان من وطننا العربي تتصدى للمؤامرات على شعبنا العربي..

إلى المرأة حين تكون صخرة الصمود والتحدي.. وصانعة الأجيال الصامدة والمناضلة، والمنتصرة بإذن الله.

(١)

تَسَمرتْ (آيات) في مكانِها أمامَ شاشةِ التلفازِ..رفعتْ والدتُها مفتاحَ الصوتِ لتتأكدْ مما تسمع وترى ، فاقتربت آيات من الشاشةِ لترى ... إلى أين يتجهُ شارون وجنوده ؟ ومن بعيد شاهدت آيات قُبَّةَ الصخرةِ والمسجدَ الأقصى فانقبضَ صدرُها.. إلى أين يتجه شارون يا ترى ؟.

كانت آيات في العادة تلتقطُ «الأخبارَ» وهي ذاهبةٌ أو قادمةٌ من أمامِ التلفاز أو قربَ المذياع، لم تكن تتوقفُ كثيراً لتسمعَ الأخبارَ بعمق، ففي فلسطين -حيثُ تقيمُ آيات- لا يمكن للواحدِ إلا أن يسمَعَ الأخبارَ رُغماً عنه ...؛ و آيات لا تريدُ أن ترتبط بهذه الأخبار ولكنّ صورةَ شارون الضخم وهو يمشي بينَ الآلاف من جنودِهِ أثارت آيات ووالدتها ووالدها...فإلى أين يتجه شارون يا ترى؟؟.

«آيات وعائلتها متسمرون أمام التلفاز لمتابعة الاخبار»

وتعالى صوتُ الأمّ متسائلةً بصوتٍ عميق:- على وين رايح شارون؟.

وردَّ الأبُ بهدوءٍ مصطنع:- ألا ترين .. إنها ساحةُ المسجد الأقصى ..

وارتفع صوتُ الأم باستنكار شديد:- إلى ساحةِ المسجدِ الأقصى؟.

قال شارون:- إنها زيارةٌ عاديةٌ .. فأنا أزورُ المسجدَ الأقصى ولا يوجدُ أيُّ مكانٍ في القدس ممنوعٌ علي زيارته!!.

وقالت الأم بتحدٍّ:بل يوجد، فهذا المسجدُ الأقصى مكانٌ مقدسٌ لا يطؤه شارون وجنوده.

وقال الأب بحزنٍ شديدٍ :- ألهذا الحد استباح شارون مقدساتنا ...!!.

وارتفعَ صوتُ التلفازِ من جهةٍ وصوتُ الأمِ والأبِ من جهةٍ أخرى .. بينما انهالتِ الحجارةُ على الجنودِ ، وتصدى شبابُ الأقصى لشارون وجنودِه يمنعونهم من الإقترابِ من المسجدِ الأقصى، واشتبكَ الجنودُ مع الشبابِ والأطفال، ولكن آيات لم تقفْ لتسمعَ المزيد، تركتِ الغرفةَ لتنطلقَ إلى سريرها في الغرفةِ المجاورةِ، فغداً امتحانُ الرياضيات وهي لا تستطيعُ عملَ شيء للمسجدِ الأقصى ولا لشبابهِ .. فلتُركزّ على امتحانها فقط.

* * *

(٢)

في الصباحِ الباكر نزلت آيات من منزلها دونَ المرور قربَ التلفازِ أو المذياعِ .. كانت لا تفكرُ إلا بصديقاتِها ومعلماتِها وامتحانِها ... بعد الامتحان ، وفي موعد الانصراف ظُهراً ، أصرت آيات على حملِ دفاترِ الامتحان للمعلمةِ

والوصول معها إلى بيتها ..

"فـأمتعُ المشاوير مشوار المشي من المدرسة إلى بيت المعلمة .. وأروع المعلمات المعلمة ست عايشة .. معها لا أفكرُ إلا بمستقبلي الذي تدفعني إليه بشوقٍ كبيرٍ".

قالت المعلمة :

أتوقَّعُ لكِ الدراسةَ في جامعةِ النجاح يا آيات .. فأنتِ متفوقة فعلاً في معظم المواضيع ، ولكن تفوقك في مادة الرياضيات يؤهلُكِ لدراسةِ علم الاقتصاد في جامعة النجاح ، فما رأيك؟.

«آيات ومعلمتها في مخيم الدهيشة»

.. وكاد قلبُ آيات يطيرُ من الفرحِ ، فهل هي فعلاً في مثل حجم ما توقعته معلمتها منها؟ وبصوتٍ خفيضٍ قالت آيات: هل من المعقول أن تذهب بنت مثلي من مخيم الدهيشة إلى جامعة النجاح يا معلمتي؟.

المعلمة:– ولِمَ لا .. فأنتِ فتاةٌ متفوقةٌ و المستقبلُ سيحملُ لك الـ.....

ولم تكملِ المعلمةُ كلامَها .. فقد فوجئت هي والطالبات بحركاتٍ

مضطربة في أزقّةِ المخيم ... وابتدأت المحلاتُ الصغيرةُ تُقفلُ أبوابها وابتدأ الجميعُ بالركضِ في كلِّ اتجاه... في لحظاتٍ كانت الدباباتُ الإسرائيليةُ تقتربُ من المخيمِ وتقذِفُ أولى مدافعها إلى حيث المخيم بأزقّتِهِ وبيوتهِ و محالِه ؛ وإلى حيثُ تسيرُ المعلمةُ وآيات وبعضُ الطالبات....

قالت المعلمة:— اذهبن إلى بيوتِكُن بسرعةٍ .. يبدو أن أخبارَ انتفاضة الأقصى وآثارها ستصل إلى مخيم الدهيشة أيضاً .

لم تترك آيات معلمتها و لم تُعطِها دفاتر امتحان الرياضيات ؛وأصرت على أن توصلَها إلى منزلها .

وَلكنَّ المعلمة لم تكد تكمل جملتها حتى أصابتها من الخلف شظية أو رصاصة فصرخت صرخة عالية وارتمت على الأرض .. بينما طار رشاشٌ من الدماء من جسدِها ليغطي يدي «آيات» ودفاتر امتحان الرياضيات !!.

«رصاصة اسرائيلية تصيب المعلمة»

بنظرات بلهاء جامدة ، وقفت آيات تُحدِّقُ في دفاترِ الرياضيات وفي جسد معلمتها ست عايشة .. ظلّت واقفة عاجزة عن الركضِ أو الانحناء ؛ تنظرُ هنا وهناك على معلمتها وعلى الدفاتر التي امتلأت بالدم ولا تدري كيف تتصرف .. وبعد فترة حسبتها ساعات ، احتضنت آيات معلمتها وقد رمت الدفاتر فتناثرت في كل مكانٍ على الأرض..!

في سريرها .. وفي منزلها لم تستطع آيات إغماضَ عينيها أو النوم، ظلّتْ تفكّرُ بمعلمتِها ودفاترِها ومستقبلها ... ، أن تسمعَ أخبار اجتياح الجنود والدبابات المدن والقرى شيء ، وأن تراها قُربَ مدرستِها تصيبُ معلمتها وأوراقَها شيءٌ آخر... ، فهل سيؤثِرُ هذا الحادث على مستقبلِها ودخولِها جامعةَ النجاح؟.

«لم تستطع آيات النوم، ظلت تفكر بمعلمتها ودفاترها ومستقبلها»

(٣)

«وفاء إدريس»

في جامعةِ النجاحِ في نابلس بدأت "وفاء إدريس" دراستَها لدراسةِ الطب. ووفاء فتاة عاشتْ هي الأخرى في مخيم آخر : مخيم الأمعري قُربَ مدينةِ رام الله في فلسطين ... وتعرف هي الأخرى معنى شارون وجنودِهِ ودباباتِهِ ... تَعِرفُ معنى الجرحى والمصابين والشهداء... ؛ فقد عملت متطوعة لمعالجة الجرحى والمصابين من أبناء المخيم قبل دخولِها الجامعة.

كم جريحٍ عالجت وفاء جراحه! كم مصاب بقذائف إسرائيل عاينت وفاء إصابته! وكم جسدٍ محروقٍ من قنابل النابا لم حاولت وفاء التخفيفَ عنه! عشرات بل مئات من الجرحى والسجناء والشهداء سمعت وفاء عنهم، أو شاركت في العزاء بهم والتخفيف عن عائلاتهم...

«وفاء تسعف الجرحى والمصابين من رصاص الصهاينة»

كانت وفاء على ارتباط وثيق مع الانتفاضة وهي لا تزالُ طالبةً في المدرسةِ ، وعندما دخل

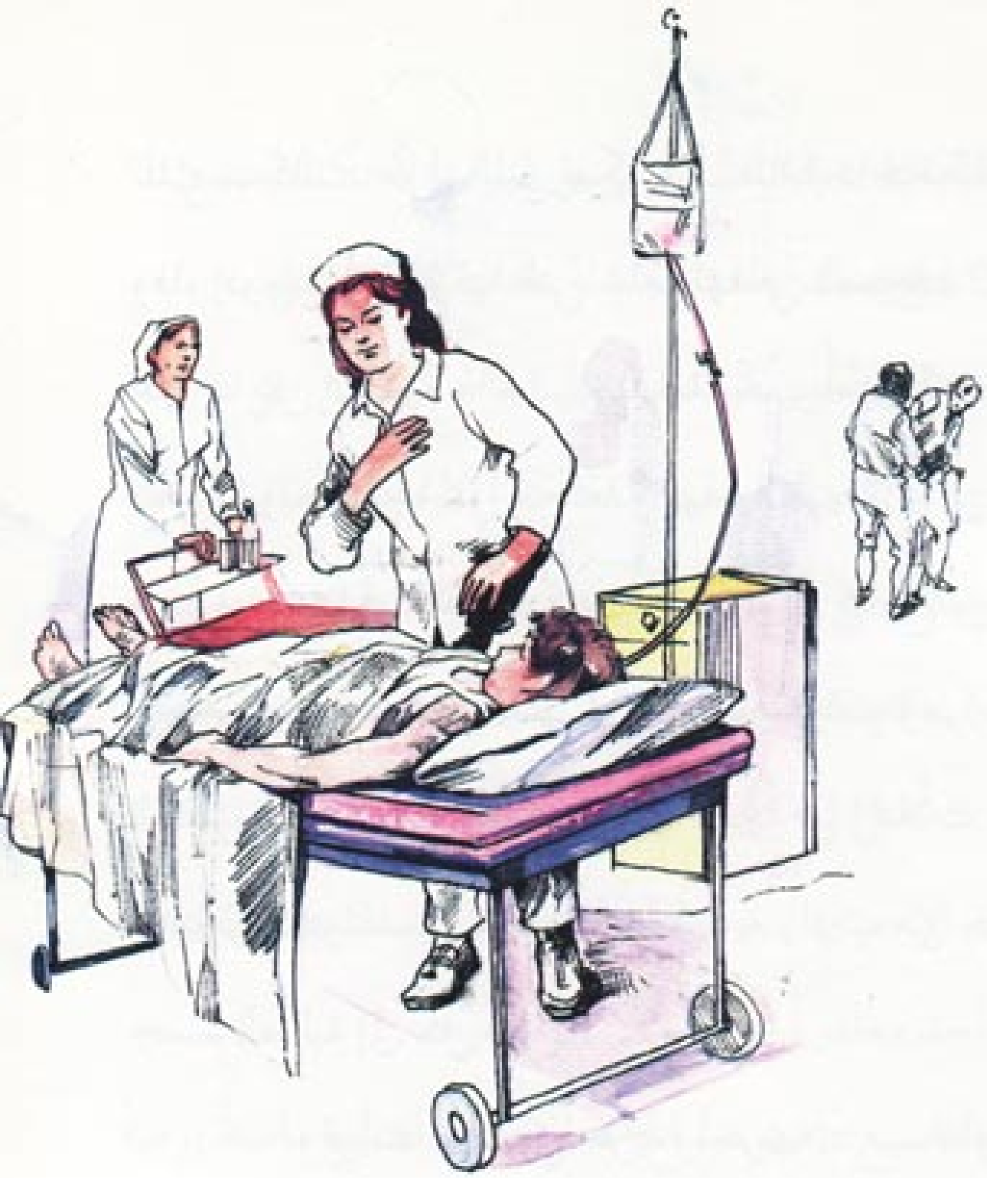

شارون المسجد الأقصى ، وعندما عَلمتْ أن الدبابات تحاصرُ مخيم الأمعري الذي تعيشُ فيه ، بدأت تعدُّ نفسَها ليومٍ غير اليوم .. وعملٍ غير العمل!!

قالت وفاء لنفسها:— إذا كانت بيوتنا كلها مهددةٌ بهذه الدبابات والطائرات .. وإذا كان شبابنا كلهم مهددون بالاعتقال والقتل والتفتيش ،ألا تكون هذه فرصتي كفتاة لا يَحُسُّ بها أحد لمقاومة المحتلين ...؟.

وفي اليوم التالي انتشر الخبرُ : طالبةٌ في جامعةِ النجاح تدرس الطب، فجّرتْ نفسَها في أحدِ شوارعِ القدسِ المحتلةِ، في منطقةٍ تكتظُّ بالمارين المحتلين اليهود ، فأوقعت عدداً كبيراً من القتلى والجرحى !!

لم تنم آيات ليلَتها

«هزَّ الانفجارُ مدينةَ القدس ، وخلّفَ دماراً كبيراً »

تلك .. كانت طول الليل تفكرُ في الطالبةِ «الجامعيّة»: وفاء إدريس بل الدكتورة وفاء إدريس وصورتها التي شاهدتَها في الصحف ... طالبةٌ جميلةٌ رقيقةٌ لم يزد عمرُها عن الثمانية والعشرين عاماً ،تحب أُمَّها المريضة وترعاها ؛ فكيف ضحت بِنفسِها وبجسدِها لتواجِهَ العَدُوَّ بهذه الطريقة؟ وأين وضعت المتفجراتُ يا ترى ؟ ومن ساعدها في ذلك ؟ كيف وصلت إلى شارع بن يهودا في القدس ؟ .

قرأت المقالَ في الجريدةِ مراتٍ ومرات ... « هزَّ الانفجارُ مدينةَ القدس هزاً عنيفاً ، وخلّفَ دماراً كبيراً في المحلاَّتِ التجاريةِ ، كمياتٌ كبيرةٌ من المتفجرات والمسامير والقِطَعِ الحديدية زادت من حدةِّ الانفجار ...انطلقت من جسمِ الطالبةِ إلى كلِّ مكان...».

وقرأت آيات في جريدة أخرى :- ... «أولُ امرأةٍ فلسطينيةٍ تُنَفِّذُ عمليةً استشهاديةً منذ بدءِ الانتفاضةِ .. «وفاء إدريس» المُتَطوعةُ في جمعيةِ الهلالِ الأحمرِ والتي تعمل مع الاتحادِ النسائي، تسعِفُ الجرحى المصابين جراءَ اعتداءاتِ الجنودِ الإسرائيليين ؛ تنتقِمُ للأطفالِ وتُفجِّرُ نفسَها ضدَّ العدوِّ المحتل ليحسّ الإسرائيليون المحتلون ببعض ما يقومون به تجاه شعبها.

* * *

(٤)

وفي أوّلِ فرصةِ رفعِ منع التجوّل،وفي منزلِ المعلمةِ ، جلست آيات وصديقاتها ليهنّئوا معلمتهم على شفائها من جراحها ...

قالت المعلمة:- كنتُ أتمنى لولا ما جرى لقدمي أن أُشارِكَ في جنازةِ وفاء إدريس في مخيم الأمعري .

وسألتْ إحدى الطالبات باستغرابٍ شديدٍ وبصوتٍ لا يكادُ يُسمع :- وكيف يقيمون لوفاء جنازة؟؟ هل هناك جسد لتقامَ لهُ جنازة؟و لم تكمل..

فأجابت المعلمة: نعم سيقيمون لوفاء جنازةً كبيرةً ، ولكن في تابوت رمزي.. وسيمشي في جنازتها الشبابُ من حركة «فتح» والاتحاد النسائي ولجان العمل التطوعي..وجميعُ العاملين في المستشفياتِ والمراكزِ الصحيّةِ ، وعددٌ من زملائها وزميلاتها في الجامعة ... كم كنتُ أتمنى مشاركتَهم لولا إصابةُ قدمي هذه.

قالت آيات بحزن:- حتى لو كانت قدمُكِ سليمةً يا معلمتي فما كنتِ ستستطيعين الوصولَ إلى مخيم الأمعري ... فالحصارُ حول المخيماتِ والمدنِ يزدادُ يوماً بعد يومٍ ، ولن يستطيعَ أحد مغادرةَ مخيمنا هذا ، ولو أراد...

خيّمَ الصمتُ على الجميعِ . فموضوعُ الحصارِ هذا أصبح مأساةً يوميةً يصحو وينامُ الشعب الفلسطينيُّ عليها...

* * *

(٥)

عندما وقفت آيات للصلاةِ في تلكَ الليلةِ ، سجدتْ طويلاً طويلاً وهي تبكي بحرقة : بكَت الشهيدةَ وفاء التي لم تعرفْها من قبلُ طالبةً من الله عزَّ وجلَّ الرحمةَ لها وللشهداء اللذين سبقوها ... تصوّرت جسَدَها الغض وقد تحوَّل إلى قطعٍ صغيرةٍ عَزَّ جمعُها لوضعِها في قبرٍ كما يضَعُ كلُّ الناسِ أمواتَهم ..؛ وبكت إخوتَها الذين صرّحوا بأقوالهم عن افتخارهم بأختهم ... ولكنها عندما تذكرت أم وفاء بكت أكثر ... هذه الأمُّ الصابرةُ المريضةُ التي قالت والدموعُ في عينيها:- «إن ابنتي وفاء شهيدة وسألقاها عند الله عز وجل».. ما ذنبها أن تفقدَ ابنتها؟.

هل كانت آياتَ يا تُرى تبكي الشعبَ الصابرَ الذي عذّبهُ اليهود حين اعتدى عليه وسرَقَ أرضَهُ وطردَه من بيته وشرّدَهُ ؛ ثم جاءَ يلحقُ به حتى إلى مخيماتِهِ ليقتلَه ويسجُنَهُ !! .. أم كانت تبكي عدم قدرةِ هذا الشعب الدفاعَ عن أبنائِه ونسائِهِ ؟

شهرٌ كاملٌ والحديثُ يدورُ حولَ أوّلِ فتاةٍ تفجّرُ نفسَها للدفاعِ عن وطنِها ... أوّلُ فتاةٍ تشارِكُ في المقاومةِ المسلّحة في عمرِ الانتفاضةِ في فلسطين... أوّلُ فتاةٍ تُدخِلُ الرعبَ إلى قلبِ إسرائيل ؛ شهرٌ كامل والمخيماتُ والمدنُ الفلسطينية يتحدثون عن هذه الفتاة الجامعيةِ التي ضحّت بنفسها في سبيل مقاومة المحتلين ؛ وما أن كان ٢٧/ شباط/٢٠٠٢م حتى هزَّ أسماعَ العالم وسمْعَ «آيات الأخرس» نبأ الاستشهادية الثانية «دارين أبو عيشة»* ...

* * *

(٦)

«دارين أبو عيشة»

نشرتِ الصحفُ صورتها :

طالبةٌ جامعيةٌ تدرُسُ اللغةَ الإنجليزيةَ ، عمرها ٢١عاماً تحملُ متفجراتٍ على وسَطِها وتقتربُ من حاجزٍ عسكريٍّ تحاولُ المرور؛ فيوقِفُها الجنود ، فتفجّرُ نفسَها وَسَطهم فتوقِعهم بين قتيلٍ وجريح! .

أيـة أخبارٍ حملها التلفاز

* استشهدت وفاء ادريس في ٢٧/١/٢٠٠٢م

والمذيـــاع، والجيرانُ، والطلبة، والمعلماتُ و الأهـل! ... أية أخبارٍ فَـرِحَ لـهـا الآلافُ من الـفـلسـطينيين الـذين عـانـوا الأمـرَّيـن أمـامَ الحواجزِ الإسرائيليةِ !! أيةُ أخبارٍ دبّتِ الرُّعبَ في نفوسِ الإسرائيليين من كلِّ امرأة فلسطينية!.

«دارين ابو عيشة تفجر نفسها وسط الجنود الصهاينة، فتوقعهم بين قتيل وجريح»

قبل قيامِها بالعمليةِ سجلت «دارين أبو عيشة» شريطاً تلفازياً بعثت به إلى المحطاتِ الإعلاميةِ في كلِّ الدولِ العربيةِ لبثِّهِ للناس ... لبست دارين جلبابَها الأسودَ وحجابَها الأبيضَ ووضعت على جبينها شريطاً باسم المجموعة التي تنتمي لها ، وجلست أمامَ مكتبٍ خلفَه علمُ فلسطين وقالت:

«قررتُ أن أكونَ ثانية استشهادية تُكملُ الدربَ الذي بدأته «وفاء إدريس» ، سأَهِبُ نفسي رخيصةً في سبيلِ الله انتقاماً لإخواني الشهداء، وللحملاتِ التي تُشَنُّ على مساجِدنا والمسجدِ الأقصى .... ولأنَّ الجسدَ والروحَ كلُّ ما نَملِكَ ، فإنني أهبُهُ في سبيلِ اللهِ لتحرقَ الصهاينة وتدمِّرَ أسطورةَ شعبِ الله المختار».

سمعت آيات الشريط، ولكنها توقفت ملياً عند قولِ الشهيدة دارين أبو

عيشه:—

«إن دورَ المرأةِ لم يعدْ مقتصراً على بكاءِ الزوجِ والأخِ والابن بل إننا سنتحولُ بأجسادِنا إلى قنابلَ بشريةٍ هنا وهناك لتدمير وهمِ الأمن الإسرائيلي».

في تلكَ الليلةِ وعندما صلّت آيات صلاةَ العشاء لم تبكِ كثيراً ... سجدت لله طويلاً طالبةً منه الرحمة لدارين .. بينما ظلّت في عينيها صورة هذه الفتاةَ الجامعيةَ الشجاعةَ وهي تُقسِمُ بالله أن تنتقمَ لمقتلِ وتعذيبِ أبناء وطنها ..أي ظلمٍ يدفعُ الفتاةَ لتقطيع جسدِها أمامَ حواجز الطرقِ يا ترى!!. وأي إيمانٍ بعدالةِ قضية فلسطين يدفعُ الشبابَ والفتياتِ للتضحيةِ بأرواحهم وأجسادِهم في سبيلها؟.

* * *

(٧)

مرّت الأيام والعدو الإسرائيلي يزيد من حصارهِ للمدنِ والقرى والمخيماتِ الفلسطينية... صارَ منعُ التجوُلِ أكثر من السماح بهِ.. صار الوصول للمدرسةِ ، مشكلة .. استحالَ السفرُ من مدينةٍ إلى مدينةٍ وتعطّل الوصولُ إلى المستشفى أو الطبيب...

ساءتِ الأوضاعُ عند كلِّ الناسِ ، توقفت الأعمالُ ونقصَ الغذاء والدواء ، وقتلَ القناصةُ اليهود العشراتِ من الشبابِ والأطفالِ حتى وهم في ساحاتِ بيوتِهم أو قرب شباك داخِلها .. فلما كان ذلك الصباح وبينما كانت آيات تراقب باهتمام التلفاز ،فوجئت «بخبر عاجل» يعلنُ وصول الدباباتِ إلى مقر «الرئيس في رام الله» .

تسمرت آيات مكانها أمام شاشةِ التلفاز واقتربت من الشاشة لترى

بوضوح ...
إلى أين تتجه
هذه الدباباتُ
الإسرائيلية يا
ترى؟ أليست
رام الله
العاصمةَ المؤقتة
لفلسطين...؟
ألا توجد فيها
الدوائر
والوزارات ؟
أليس فيها مقر

الرئيس ..فإلى أين تتجه هذه الدبابات وماذا تريد؟.

وتعالى صوت الأم متسائلةً:– على وين الدور اليوم يا ربّي؟؟.

ورد الأب بهدوءٍ مريب :– إلى رام الله .. رام الله اليوم محاصرةٌ من كلّ الجهاتِ وحتى «الرئيس» محاصر في مكتبه!!!.

ولم تقف آيات لتسمع المزيد ... تركت الغرفة وانطلقت إلى سريرها تفكر!!!.

«نورا شلهوب»

في اليوم التالي انتشر الخبر الجديد:

«بسكينٍ صغيرةٍ وبيدين من حديد وبقلب عامر بحب الله والوطن قامت «نورا شلهوب» بعمليتها الجريئةِ ضد حاجز إسرائيلي على بابِ مدينتها . «نورا شلهوب» الفتاة الفلسطينية ذات الستة عشر ربيعاً لم تعد تحتملُ الحواجزَ العسكريةَ فحملت سكينةً صغيرةً من منزلِها ، وانطلقت بعد صلاةِ الفجرِ إلى حاجز الطيبة القريب من منزلها . ركبت تاكسي أجرة ونزلت قبلَ الحاجزِ بقليلٍ. أوقفها الحارسُ الأول؛ فهاجمته بالسكين. أقبلَ الحارسُ الثاني فطعنته بالسكينِ الصغيرَةِ ذاتها. قُتِلَ الاثنان رغم ما يلبسانه من صداري واقية من الرصاص. يدٌ من حديد قبضت على السكين وأودعتها صدريهما .. فلما أطلقَ عليها الحارسُ الثالثُ الرصاصَ وقعت أرضاً ينزف دمها من خاصرَتها ...كانت نورا طالبةً في المدرسة، تحبها معلماتها وزميلاتها ،فلما بلغهم نبأ استشهادها أقاموا لها حفلاً سموه «عرساً» لوداعها، حضرهُ

«نورا شلهوب على حاجز طرق تنتقم من جنديين اسرائيليين»

معظمُ سكان مدينتها في طولكرم. فمن يا ترى لم يفخر بها وقد قاومتِ العدُوَّ المُحتَل؟؟جنازةٌ كبيرةٌ خرجت في وداعها، يتقدَّمُها أبوها الدكتور جمال شلهوب وتقفُ في آخرها أمها تودعها بالبكاء حيناً و بالزغرودة حيناً آخر..ويشارك فيها طلابُ المدارس وزملاؤها من المجموعة التي تنتمي إليها ، بينما يلفُ جسدَها الطاهر العلم الفلسطيني الذي أحبته .

قالت المعلمة عايشه لآيات وزميلاتها وهن يتحدَّثنَ عن الطالبة «نورا شلهوب»:

–كم قالوا إنها كانت طالبةً شاطرةً في المدرسة وكم كانت محبوبةً من معلماتها وزميلاتها !! لم تستطع «تحمُّل» ظلْمَ اليهودِ في مدينتها وعلى حواجزِ الطرق، فاندفعت تدافع عن وطنها بيديها الطاهرتين...

* * *

أطرقت آيات... نظرت إلى الأرضِ صامتةً و فجأة رفعت رأسها وسألت معلمتها :– معلمتي .. كيف إنضمت «نورا» يا تُرى لهذه المجموعة ؟ مجموعة كتائب الاقصى؟.

و لم تجب المعلمة فأعادت آيات السؤال و لم يجب أحد....!! وعندما ودَّعَتِ الطالباتُ المعلمةَ وهممنَ بالخروج ... قالت المعلمةُ لآيات:– آيات ... تأخري قليلاً أُريدُ أن أراكِ منفردةً !!

* * *

ساعات بل أيام والمعلمةُ تناقِشُ آيات في موضوعَ الانضمامِ للثوار والمدافعين عن فلسطين .. علّها تمنعُها من ذلك..

قالت المعلمة:-لازلت صغيرة يا آيات ، والمستقبلُ أمامكِ .. ألا تريدين الدخول للجامعة يا آيات؟ ألا ينتظرك خطيبك للزواج وتكوين أسرة ؟ فلماذا تتسرعين في اتخاذِ مثل هذا القرار ؟

آيات :- بل إنني في كلِّ يومٍ أرى أن علينا جميعاً مقاومة المحتلين، كم سنةً يجب أن ننتظر حتى نستطيع التحرُّكَ بحريةٍ بين البيتِ والمدرسةِ والسوقِ..؟؛ متى نستطيعُ زيارةَ أقاربنا في المدينةِ الأخرى أو حتى المخيم الآخر ... لماذا تظلُّ الدباباتُ الإسرائيليةُ والقنّاصةُ الإسرائيليون يغتالونَ شبابنا ونساءنا والأطفال الأبرياء ؟ كم سنةً يجبُ أن ننتظِرَ حتى نعودَ إلى مدننا وقرانا التي هاجرنا منها ...؟

أطرقت المعلمة وقالت بحزن واضح :

- نعودُ إلى المدن والقرى التي هاجرنا منها ؟!!

آيات :- ولِمَ لا يا معلمتي... !! هذا المخيم وعشرات المخيماتِ الأخرى هل

«دبابة مقابل الحجر!»

ستبقى لنا ؛ لفقرِنا وعجزنا؟ لقد أخبرني أبي أن هذا المخيم: (مخيم الدهيشة)*، أنشئ عندما طَرَدَ اليهود سكان خمس وثلاثين مدينةً وقريةً عربيةً مجاورة. هاجموا خمسة وثلاثين مدينة وقرية وقتلوا من قتلوا من شبابها ونسائها، ثم طردوا باقي السكان إلى العراء. فحنَّ عليهم العالم وبنى لهم هذا المخيم البائس.. فهل يستوي ساكنُ خيمةٍ بساكن بيتٍ في أرضِهِ وكرمِهِ ؟.هل يستوي الإنسانُ المحاصرُ في بيتِهِ والإنسانُ الحُرُّ في وطنه؟؟ ألا ترين حياةَ الذلِّ التي نعيش؟ وهذا «الرئيس» المحاصر في رام الله .. ألم يتنازل عن أرضِنا ونصفِ مساحةِ وطننا في سبيلِ إقامةِ دولةٍ مستقلةٍ عاصمتها القدس ، يعيشُ فيها الفلسطينيون في أمانٍ وحريةٍ؟.. فلماذا يعُيد هؤلاء الإسرائيليون احتلالَ أرضنا ومخيماتِنا ويحرموننا من الحريَّةِ التي هي حق لكل إنسان على هذه الأرض؟.

.. لم تستطع آيات بلعَ ريقها أو أخذ نَفَسِها .. فلقد كانت ثورتُها على هذا العدو كبيرة ؛ وكانت رغبتُها في الدفاعِ عن بلدِها عارمة ، فلم تستطع المعلمةُ قول شيء!!.

* * *

(٩)

آيات تنضمُ إلى الثوار

في منزلٍ صغيرٍ في أحدِ أزقّةِ مخيمِ الدهيشةِ التقت المعلمة ست عايشة والطالبة «آيات الأخرس» مع مسؤول المجموعة ... !!

قالت المعلمة :– آيات التي حدثتك

* انشئ مخيم الدهيشه عام ١٩٤٩.

عنها : إحدى الطالباتِ المتميزاتِ في المدرسةِ ، تُريدُ أن تَنضمَّ لكم وتتدرب عسكرياً..

هل خافت آيات يا ترى ؟ هل سقطَ قلبُها بين قدميها وهي تُقابِلُ المسؤول ؟ هل فكرت كثيراً قبلَ أن تمشي في هذا الطريق ؟ وأين سيوصلُها هذا الطريق ؟ ... وأمها ؟وأبوها؟ ما رأيهما في ذلك؟هل شقت «وفاء إدريس» الطريقَ فسارت فيه «دارين أبو عيشة» ثم «نورا شلهوب» ؛ لتسيرَ فيه اليوم آيات الأخرس؟ وأين ستوصِلُها هذه الطريق يا ترى؟ وهذه العمليات الاستشهادية: هل هي فعلاً الطريقُ الأنسبُ لتحريرِ الوطنِ من الجنودِ المحتلين؟ وكيف تتحرَّرُ فلسطين من جنودِ الاحتلالِ الإسرائيلي؟.

قال لها المسؤول: أهلاً بك يا آنسه آيات ، سنضعُ برنامجاً لعملنا . برنامجاً ثقافياً عملياً... يجب أن تتسلحي بالايمانِ والمعرفةِ والقُدرةِ .

أما الايمانُ فقد كانت آيات مسلحةً به من قبل..

وأما المعرفةُ فكانت تستقيها من قراءةِ تاريخِ نضالِ الشعب الفلسطيني منذ وطِئت أرضَ فلسطين جيوش الإنجليز واليهود.

وأما القدرة والسلاح فهو ما تريده آيات..

وأضاف المسؤول :– لقد بدأ الشعبُ الفلسطينيُّ طريقاً مختلفاً في النضالِ سماه العالم القنابلَ الاستشهادية ، ذلك أن السّلاح المتوفّر لدى اليهود في فلسطين من دباباتٍ ومدافعَ وسياراتٍ مصفحة ، وجنودٍ يلبسون الواقي من الرصاص والخوذات والرشاشات ؛ يجعلُ مِنَ الصّعبِ على الفلسطينيِّ أن يقاتلَهُم وجهاً لوجه بسلاحه البسيط. لذلك ابتدعَ المجاهدون طريقة «القنبلة

الاستشهادية» ليُفَجِّرَ بنفسه مجموعاتٍ من الجنودِ أو جنودِ الاحتياط اليهود.

وقد شاركت منظمات فلسطينية مثل «حركة حماس» و «كتائب عز الدين القسام» و «الجهاد الإسلامي» و«الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» و «حركة فتح» ونحن في «كتائب الأقصى»، هذا السبيل فقدموا إلى اليوم مالا يقل عن مائة وخمسينَ شهيداً قتلوا وجرحوا مقابلهِم أضعافاً مضاعفة من الصهاينة ... لقد كنا نتمنى لو أن سلاماً عادلاً شاملاً عمّ هذه المنطقة وحقنَ دماءَ الأطفالِ والنساءِ والرجال ، ولكنّ هذا العدو لا يريدُ سلاماً ولا عدلاً ولا حقاً.

* * *

(١٠)

اقتربتْ أم آيات من ابنتها في السرير؛ فرأتها واجمةً ساهمةً والقرآنُ الكريم بين يديها ، لم تتعوّدْ الأمُّ يوماً هذا الصمت الرهيب الذي أصبحَ يلفُّ ابنتها في الأيامِ الأخيرةِ... اقتربت منها وقالت:

– ما الأمرُ يا آيات ؟.

فأجابت آيات: الأمرُ ما ترين يا أمي : في الصباحِ والمساءِ.. في الظهيرةِ والعصرِ وحتى في الفجرِ ؛ اعتداءاتٌ متواصلةٌ وقتلٌ واعتقال ؛ شبابٌ في عمرِ الورودِ وأطفالٌ في عمرِ البراءةِ، ومعلمات وأمهات وبيوت وأراضٍ....

قالت الأم بحنان وهي تحتضنُ ابنتها :

– هَوِّني عليك يا آيات يا حبيبتي ... هذا هو الاحتلال .. ولكن ألا ترين أن النصر آتٍ لا محالة؟.

باستغراب واستنكار قالت آيات: – النصر؟؟.

فأجابتها الأم:نعم... وسيشفي اللهُ الغلَّ في قلوبنا وسينصُرنا على القوم

الكافرين.

احتضنت الأم ابنتها ... رَبّتت على جسدِها .. قبّلت وجهها ومسحت على رأسها... لله ما أحلى وجه الأم وما أحنّ يديها !!.

أما آيات فقد قامت هي الأخرى واحتضنت أمها بشدة ... كانت تريدُ أن تتملّى من جسدِها ... قبّلتها .. بكت على صدرِها ، وأُجهشت الإثنتان في البكاء ... فهذا الشعب عرفَ البكاء كثيراً ... وكثيراً جداً .

هل فكرت الأم يوماً بأنها ستفقدُ ابنتَها و إلى الأبد ؟؟ وهل فكرت آيات بقلب أُمها إن هي أحسّت بما تفكر به ...؟ ، فكرت بأبيها واخوتها وخطيبها .. ماذا سيكون رأيهم بها ؟

وتركت الأمُ ابنتها وهي مطمئنةٌ عليها ... لم يعلمْ أحدٌ في هذا العا لم ما كان يعتملُ في قلبِ آيات من غليان....

ومع سورةِ الانفالِ سهرت آيات ليلتها تلك... وعندما كانت تتوقف عن القراءة ، كانَ فكرُها ينطلِقُ مباشرةً إلى جسد «وفاء إدريس» الجميل الرقيق ؛ وعينيها الساحرتين وشعرها المتهدل على كتفيها؛ و«طاقية التخرج» التي على رأسها ..

كيف وفي لحظةٍ واحدةٍ تصبحُ كلّ هذه قطعاً متناثرةً مع الآلافِ من القطعِ الحديديةِ ؟.. وكانت إذا ما توقفت عن القراءة مرّةً أخرى .. ترى كما يرى النائمُ جسد «دارين أبو عيشه» وقد تقطّعَ هو الآخر ولم يعُد منه ما يمكن لمّه لدفنِهِ ... وقفزَ إلى فكرِها ما كانت قد قرأتْهُ مرّةً عن الفتاةِ اللبنانيةِ «سناء محيدلي» عندما آلمها احتلال القواتِ الإسرائيليةِ لأرضها في جنوب لبنان ، فركبت سيارةً وضعت فيها ما يَزيد عن خمسين كيلو غراماً من موادّ سريعةِ الانفجار .. وسارت قرب

موكبٍ من دبابات العدو ، فصدمت بسيارتِها إحدى هذهِ الدبابات وانفجرَ عددٌ كبيرٌ من قواتِ العدو ... وبموتها وبانفجار جسدها مات وجرح العشرات من جنودِ إسرائيل .

ووجدت آيات نفسها تبتسِمُ لهذهِ العمليةِ الفدائيةِ التي كانت – مع عشراتٍ مثلها من العمليات– السبب المباشر لانسحابِ إسرائيلَ من جنوبِ لبنان ... فلماذا لا تكونُ هي مع عشراتٍ مثلها سبباً في انسحابِ إسرائيل من أرضِ

فلسطين، فتحقق النصر «الذي لا ريب فيه» !!.

غشى النُعاسُ عينيها فنامت لتحلُمَ بحلمِ الخلود وتهنأ فيه بأ حلى الرؤى!...لعلها حلُمت بتحرير وطنِها ، وبحريتها في السفر والدراسة .. لعلها حلُمت بنفسِها وقد تخرجتْ من الجامعةِ ووضعت طاقيةَ التخرُجِ على رأسها ...

ولعلها حلمت وقد تزوجت خطيبَها وأنجبتِ الأولادَ الأحرارَ يلعبون

ويذهبون للمدارسِ دون حصارٍ ودون جنودٍ ودبابات.

و في الصَّباحِ قامت آيات مستبشرةً سعيدةً ؛ فاستحمت ولبست أحلى ملابسِها ..نظرت في المرآة على وجهها وشعرها ، تحسست جسدَها وابتسمت .. قبّلتْ والدتَها وانطلقت ؛ مرّت على «المنزل الصغير» في أحدِ أزقّةِ مخيمِ الدهيشة وتناولت الحزامَ الناسِفَ ، ووضعتهُ على خصرِها النحيل ... ثم سجّلت شريطاً تلفازياً أعلنت فيه عزمها على القيامِ بعمليتها الاستشهادية «مشاركةً منها أبناء شعبِها الشبابَ والفتياتِ في مقاومةِ المحتلين حين عجز العرب عن الدِّفاعِ عن الشعب الفلسطيني ورئيسِهِ المحاصر ، وهي مؤمنةٌ إيماناً قاطعاً بأن اللهَ سينصُرُ هذه الأمةَ وإن طال الأمد ...» .

كانت جميلةً رقيقةً يزيّنُ رأسَها الإيشاربُ الأبيضُ .. تبتسمُ بكلِّ هدوءٍ وحب وطهارةٍ ... كانت تودّع أمَّها وأباها وإخوتَها وخطيبَها واعدةً إياهم بينها وبينَ نفسِها أن تلقاهم في جنَّاتِ الخلدِ.

وغادرت آيات المنزلَ وانطلقتْ إلى حيثُ الهدف : مستعمرةً إسرائيلية في حي كريات يوفيل في القدسِ الغربيةِ ... دخلت آيات السوبر ماركت ، أوقفها الحارسُ الأول فابتسمت له و لم تتوقف.. أوقفها الحارسُ الثاني فأشعلت فتيلَ الحزامِ الناسِفِ وهي تبتسمُ له !!.

* * *

(١١)

في يوم ٢٩ / ٣ / ٢٠٠٢ سارَ ملثّمونَ في مخيم الدهيشة ، يعلنونَ عبرَ مكبّراتِ الصوتِ أنّ «آيات محمد الأخرس» منفذة العملية الاستشهاديةَ في القدس ، قد قتلت وحدها اثنين من جنود شارون وجرحت عشرينَ آخرين...

وجهٌ جميلٌ ملأ الشاشاتِ والصحفَ والجرائدَ .. الحجابُ الأبيضُ يغطي الرأسَ ، والابتسامةُ الرائعةُ تغمُر الوجه .. والعينان العسليتان تضيئان الجبين.. والجسَدُ الرقيقُ الطاهِرُ يختزنُ الأنوثةَ والشجاعةَ .. القامةُ مرفوعةٌ والصدرُ عامرٌ بالإيمان .. يكادُ الإيمانُ يفرُّ من الضلوعِ و الحنايا ليعلِنَ عن كرامةِ الشهادةِ في سبيلِ اللهِ وفي سبيلِ الوطن .

زاحمتِ المعلمةُ الآفَ المهنئين الذين توافدوا على بيتِ آيات الأخرس ليقدّموا التهاني في ما سموه «عرس آيات» كانت الدموعُ تملأُ عينيها والماءُ يملأُ فمها ويغصُّ في حلقِها .. احتضنت المعلمةَ أم آيات وبكت على صدرها كثيراً .. كثيراً جداً.

كانَ جسدُ آيات قد تناثَر لتملأَ كلُّ قطعةٍ منهُ الأرضَ والسماءَ وتقول....

لا للاحتلال..لا للذل .. لا للسكوت على الظلم .

رقم الايداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
(٢٠٠٢/٦/١٥٤٠)

٩٥٦.٤٠٥٣
هده الهدهد، روضة الفرخ
ايات الأخرس / روضة الفرخ الهدهد . عمان : المؤلف، ٢٠٠٢
(٢٦) ص.
ر.إ. : ٢٠٠٢/٦/١٥٤٠
الواصفات : / فلسطين // تاريخ فلسطين // الانتفاضة الفلسطينية //
مقاومة الاحتلال // الجهاد/

* تم اعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الزمن الحزين في دير ياسين

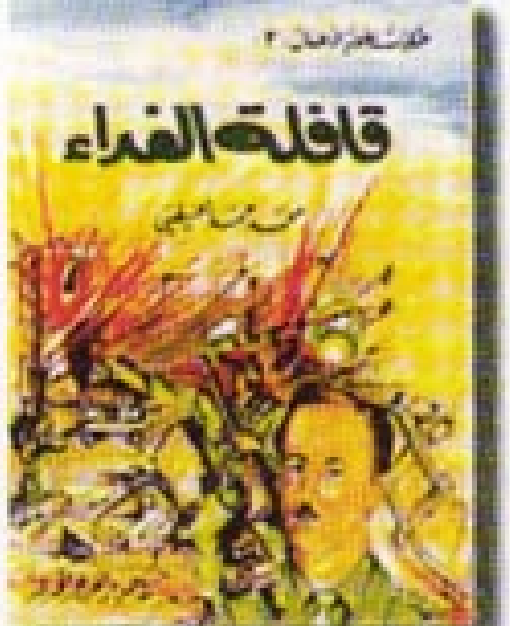
قافلة الفداء

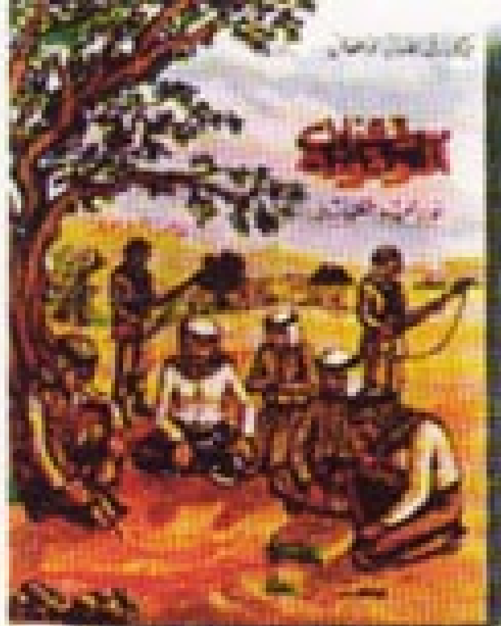

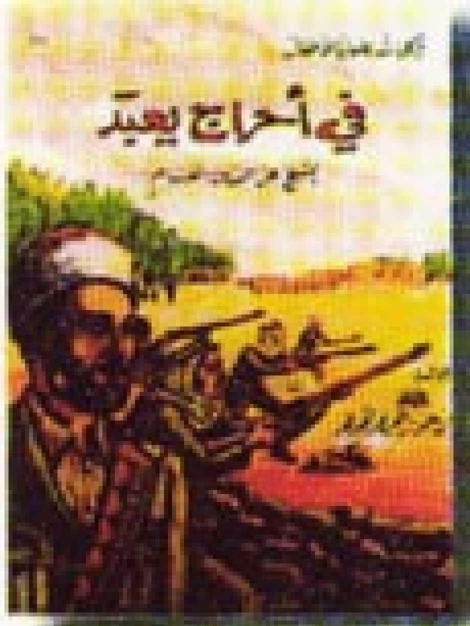
في أحراج يعبد

أسد فوق حيفا

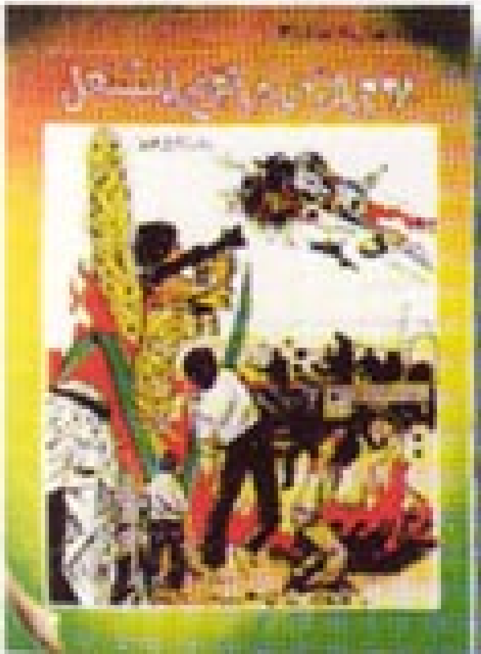

كفر قاسم

سلسلة حكايات الغول

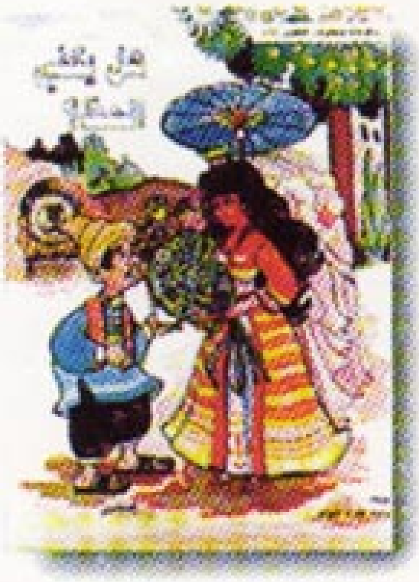

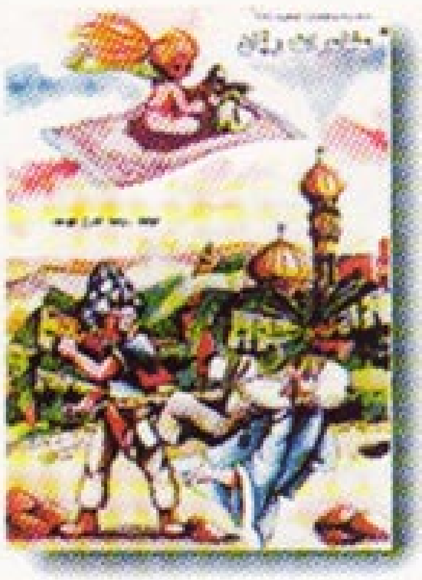

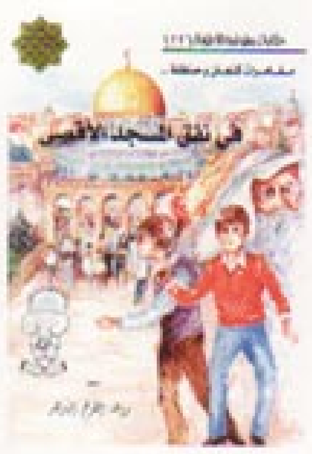

سلسلة المسرح

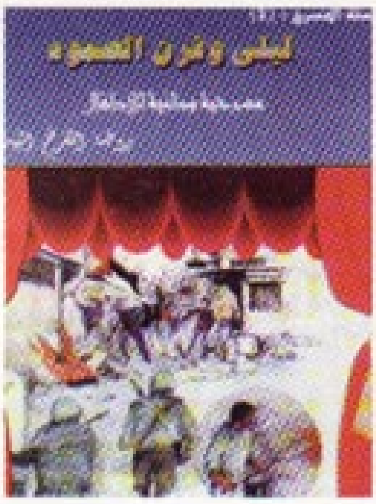

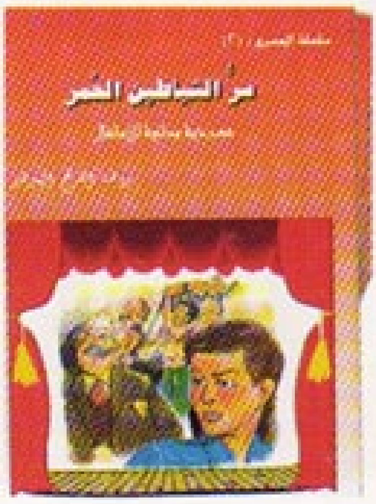

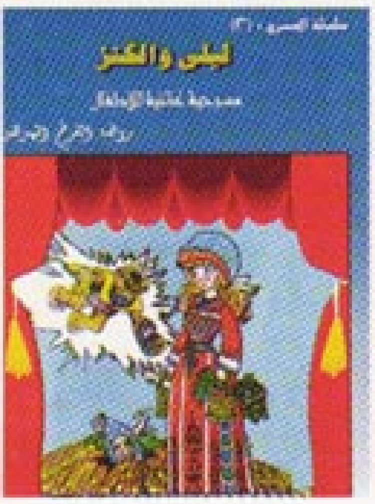

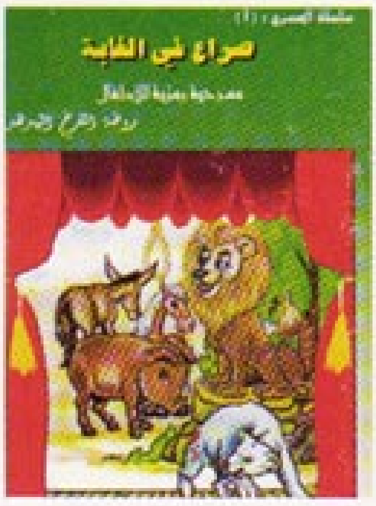

تطلب هذه الكتب من

دار كندة للنشر والتوزيع

هاتف: ٥٩٢٩٢٨٢ (٠٠٩٦٢٦)

تلفاكس: ٥٩٢٢١٤٥ (٠٠٩٦٢٦)

ص.ب: ٤٤٦٠ عمان - الأردن

تصميم فرز الوان طباعة مطابع المؤسسة الصحفية الأردنية "الرأي"

المؤلفة في سطور

• ولدت في مدينة يافا في فلسطين.
• درست في كلية الصيدلة جامعة القاهرة، ثلاث سنوات بنجاح،
• حصلت على شهادة الليسانس في الحقوق عام ١٩٧٢
• عضو منتخب للهيئة الإدارية لرابطة الكتاب الأردنيين .
• عضو في المجلس العربي للتنمية والطفولة .
• رئيسة جمعية أصدقاء الأطفال في الأردن .
• رئيسة هيئة المديرين في مؤسسة ومدرسة المنهل التربوية.
• نالت جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية عن كتابها «قافلة الفداء».
• نالت درع سلاح الجو الملكي الأردني عن كتابها «أسد فوق حيفا».
• نالت جائزة السكاكيني لأدب الطفل وثقافته من رابطة الكتاب الأردنيين ١٩٩٥م.